ومضة نقدية فى ومضات جمال الجزيري

د. أشرف زيدان

جامعة بورسعيد، مصر

جمال الجزيري مبدع من الدرجة الأولي، ناقد من الطراز الأول، إنسان برئ تنهكه رذائل البشرية التي يحاول فضحها دائما في أعماله المتنوعة. ومع ذلك لا ينسي أبدا الجانب الجميل في هذه الحياة المقهورة. بدأت قراءة أعمال الجزيري منذ النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي عندما كنت أدرس في جامعة القاهرة. وللأسف لم أستطيع أن أفهم شيئا من أعماله في ذلك الوقت؛ نظرا لأسلوبها الصعب جدا؛ وذلك ايمانا منه بأن قوة اللغة، وصعوبة الأسلوب، واختيار الكلمات القديمة شروط أساسية للإبداع. ولكن تغير كل ذلك للأفضل؛ فأصبحت كلماته بسيطة ولكنها أكثر عمقا، وأسلوبه واضح ومباشر يشبه إلي حد كبير انقضاض الصقر علي فريسته. وربما يعود السبب في ذلك إلي طبيعة مهنة التدريس التي يزاولها كاتب القصة القصيرة، ومطور الومضة القصصية، وحاصد الجوائز المتنوعة، وصاحب الدواوين الشعرية، وأخيرا الترجمات المتعددة عن الإنجليزية والفرنسية.

هذه ومضة نقدية ترصد بعض ما يحاول الجزيري أن يعبر عنه في ومضاته الخاطفة. وبالنظر إلي هذه الومضات نجد الإنسان في حيرة وقلق وشك؛ لدرجة أن اليأس والبأس والاحباط قد هيمنوا عليه من جميع الجهات:

سقوط

آوى إلى جذع نخلة يهزها. فتساقط عليه ثعبان نهشه.

ومع ذلك تنتصر الحياة عندما يغازلها العشق رغم أنف المحبطين:

عاشقة

متجهِّمًا نظر للبحر، داعبتْه سمكةٌ. عَبَسَ، فشدَّتْه إليها.

إن حياة أورويل يجب أن تمحي من الوجود؛ لأن حياة العبث والجمود والرتابة لامكان لها الآن؛ وعلي الإنسان أن يستمع بالحياة مهما كانت طبيعة البشر: هل نتوقف عن الصداقة رغم ما نحصده من مرارتها؟ هل منا من يستطيع البعد عن المرأة؟ هل نتوقف عن متابعة الأخبار القاتلة؟ إن المادية تسعي حثيثا في تدمير البشرية؛ لذا علي العشق والحب والتصالح أن يعلنوا بعزم عن بدء حياة جديدة رغم أنف من يحاول الهروب منها. فعندما يعاند الإنسان الأرقٌ، وتتحداه الهموم، ويغلبه القهر؛ عليه أن يتأمل السماء ، وعناقيد العنب، وقصص العشق والغرام، واصرار الغريق علي النجاة:

انشراح

عاندَه الأرقُ. تأمَّلَ السماءَ، فأشرقتْ رأسُه وعانقَ النَّومَ.

وتتوالي ذرات الأمل والبشر والنجاة؛ وجميعها متعلق بالسماء. تربي مبدعنا في ريف الصعيد (جهينة/محافظة سوهاج)؛ وهناك دائما نتوكل على السماء؛ لأنها الوحيدة التي تعيد لنا الثقة، وتصل خيوط الرحمة والمحبة بين العباد، وتزيل عنا الشكوك والهموم مهما بلغت ومهما تعاظمت:

خيوط الرضى

راودهُ الشكُّ من كلِّ جانبٍ. نظرَ للسماء. تواصلتْ خيوطُ الكون. عاودتْهُ الثقةُ.

إن تلاشي ضياع الإنسان وانتعاش حياته مرتبط بعلاقته السوية بنفسه؛ فعلى الإنسان أن يرضى عن نفسه أولا، ويبعد عنه الشكوك ثانيا، ويتجاهل المشاكل؛ وسيحصد الراحة النفسية فورا:

قهقهةٌ

أثقلتْه الهمومُ. حاولتْ أن تُوقِعَه أرضًا أو تفرضَ عليه جلطةً قد تُوقِفُ مجراه. نظر إليها ببرودٍ ثم ابتسم وأخذ يُقهْقِهُ.

ويؤكد الجزيري ذلك في ومضة أخري:

تَرَفُّعٌ

أرادَ أن يجُرَّ النقاشَ إلى مُسْتَنْقَعٍ. رسمتُ ابتسامةً. كتبتُ بدون تجريحٍ. اضطرَّ لأن يشكُرَني.

ويرى الجزيري أن ومضاته أو اعماله بصفة عامة ليست سيرة ذاتية مباشرة، فيما يؤكد أن كل عمل أدبي سردي يحمل ملامح من السيرة الذاتية لمؤلفه بطريقة ما. إن دراسة السيرة الذاتية للمؤلف تساعدنا كثيرا علي فهم وتذوق العديد من نصوصه الإبداعية. فعلي سبيل المثال، ينتقد الجزيري في هذه الومضة التالية لجان الترقيات التي تتعمد أن تؤخر الكثيرين عن الترقية في مجال تخصصاتهم. فابداع الكثيرين المتنوع يؤهلهم للحصول علي أعلي الدرجات العلمية. ومع ذلك تري اللجنة شيئا آخر:

سوسٌ

نشرَ بحثًا، أرسبوه. نشرَ دوليًّا، أرسبوه. هدَّدَهُم بفضحِهم، أنجحوه بمسوّداتِ أبحاثٍ ناقصةٍ. فضحَهم. (8 فبراير 2014).

ينتقد المؤلف في هذه الومضة ما آل اليه البحث العلمي في الدول العربية من فساد وتخبط ومحسوبية وجهل.